سلسلة الرسائل (٢٧)

مكة حرسها الله تعالى/١٤٤٤هـ

بعض ما يُشرع للصائم أن يتحلَّى به وأن يدعه

للشيخة أم عبد الله بنت الشيخ
مقبل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى

alwadei967.blogspot.com telegram.me/alwad3ya

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

أخواتي في الله، إنه قادم علينا ضيف كريم[١]، وشهر عظيم، شهر الخيرات والحسنات، شهر يقودنا إلى البِرِّ والجنات، روى البخاري (١٩٠٤) واللفظ له، ومسلم (١١٥١) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ».

وهذه خصيصة ومزية للصوم «إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»، والله عَزَّوَجَلَّ غنيٌّ عن صوم عباده وعن أعمالهم، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [لقمان]. وقال سُبحَانَهُ: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ

---

(١) الكلمة أُلقيَتْ ليلة الثلاثين من شهر شعبان من هذا العام ١٤٤٤

ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ ﴾[العنكبوت: ٦]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦ ﴾[فصلت: ٤٦]، فالله عَزَّوَجَلَّ غني عنَّا وعن أعمالنا، وكما في الحديث القدسي يقول الله تَعَالَى: «يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ، أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» رواه مسلم (٢٥٧٧) عَنْ أَبِي ذَرٍّ.

«ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا» أي: أجازيكم.

وأما الإضافة في هذا الحديث المبارك «إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» فهي إضافة تشريف وتكريم كما يقال في الكعبة: بيت الله، ويقال: ناقة الله.

وقد اختلفوا في المراد بهذه الخصيصة على أقوالٍ، من أشهرها: أن الصوم غير معلوم مقدار جزائِهِ، فالحسنة بعشرة أمثالها كما نص على ذلك القرآن الكريم، لكن الصوم الله عَزَّوَجَلَّ مستأثِرٌ بعلم ثوابه وتقديره.

«وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ» أي: وقاية من المعاصي، فالصوم عون بإذن الله عَزَّوَجَلَّ على البُعد عن المعاصي، والصوم يضيق مجاري الدم؛ بسبب الجوع والعطش، فيضيق بذلك مجاري الشيطان وسرعة نفوذه «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ»(٢).

(٢) رواه البخاري (٢٠٣٨)، ومسلم (٢١٧٥) عَنْ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ عن صفية بنت حيي.

فإذا امتنع الصائم عن الطعام والشراب فإنه يضيق بذلك مجاري الشيطان، وتقل المعاصي، نعوذ بالله منه.

فالصوم جُنَّةٌ، جُنَّةٌ عن المعاصي، وجُنَّةٌ عن النار، أي: وقاية عن النار، أعاذنا الله وإياكن من النار.

فما أبرك الصوم على الصائم، وما أعظمه! يقي من النار، ونحن مأمورون بأن نقي أنفسنا من النار، ومن دعاء عباد الرحمن ﴿ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ ﴾[الفرقان: ٦٥] ﴿ غَرَامًا ﴾ أي: لازمًا لأهلها، وقال سُبحَانَهُ عنهم: ﴿ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ۝١٩٢ ﴾[آل عمران: ١٩١-١٩٢]، أيُّ خزيٍّ أعظم، وأي فضيحة أسوأُ من دخول النار؟! ونحن أخواتي في الله لا نتحمل عذاب الله ولا نطيقه، لا نطيق لذعةً من نار الدنيا، فكيف بنار الآخرة؟! التي هي تسعة وستون جزءًا من حَرِّ نار الدنيا، كما روى البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣) واللفظ له عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» قَالُوا: وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا».

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لشدة خوفهم قالوا: «وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً»، كافية في العذاب، كافية في إحراق العظام واللحوم، وشوي الدم والشحوم، ولكنها أعظم، فنار الآخرة لا نطيقها، إذا كنا لا نطيق نار الدنيا فإننا لا نطيق نار الآخرة؛ ولهذا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذكر ثلاثة أسباب للشفاء ومنها الكي، فقال: «الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: شَرْبَةِ عَسَلٍ، وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ، وَكَيَّةٍ نَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الكَيِّ»(٣)؛ لما فيه من تعذيب الجسم بالنار، وهذه كراهة تنزيه.

«وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ» وفي هذا المعنى روى الإمام أحمد (٢٦/٢٠٥-٢٠٦) عن عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ»، وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «صِيَامٌ حَسَنٌ صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنَ الشَّهْرِ»(٤).

فالصوم فضله عظيم، ثم قال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في تتمة الحديث السابق: «وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ» فيه المحافظة الصائم على الصوم من نقصان أجرِهِ.

و في «الصحيحين» (٥)عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا». أي: سبعين عامًا، هذا

---

(٣) رواه البخاري (٥٦٨٠) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) الحديث في «الصحيح المسند» (٩٠٧) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

دليل على أن الصيام وقاية من النار، وإذا كان هذا في صوم النافلة كما عليه كثير من شرَّاح الحديث أن «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» المراد: صيام النافلة، فإذا كان هذا في صيام النافلة فكيف بصيام الفريضة، كيف بصيام شهر رمضان المبارك الفضيل أحد أركان الإسلام؟!

والفرائض أحب إلى الله عَزَّوَجَلَّ من النوافل كما في الحديث القدسي: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» رواه البخاري (٦٥٠٢).

أخواتي في الله نُذَكِّرُ أنفسنا ببعض الأعمال المشروعة في رمضان، وما ينبغي للصائم أن يتحلَّى به، وأن يبتعد عنه؛ حتى نعبدَ الله على بصيرة، ونتفقه في أمور ديننا ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤]:

إن مما ينبغي لنا أن نهتم به في شهر رمضان:

القرآن الكريم، فإن شهر رمضان شهر القرآن، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

---

(٥) البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣).

القرآن فيه حياة لقلوبنا، قال سُبحَانَهُ: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

القرآن نور لنا، قال تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾ [النساء: ١٧٤].

القرآن رفعة، يقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ» رواه الإمام مسلم (٨١٧) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ورفعة العلم تشمل الرفعة المعنوية والرفعة الحسية، الرفعة المعنوية: حسن سمعة صاحب العلم وحافظ القرآن واشتهار صِيته، هذه الرفعة المعنوية، ولننظر كيف رفع الله عَزَّوَجَلَّ أهل العلم وأهل القرآن الذين تعلموا العلم لوجه الله عَزَّوَجَلَّ، وكيف نترحم عليهم وندعو لهم، كلما قرأنا في كتبهم وسمعنا أشرطتهم! ندعو لهم ونترحم عليهم.

وأما الرفعة الحسية: فهي رفعة الدرجات في الآخرة.

ويقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»(٦).

وشهر رمضان المبارك يعين بإذن الله عَزَّوَجَلَّ على حفظ القرآن وتثبيته، ويا حافظة القرآن الكريم استعيني بالله عَزَّوَجَلَّ، وأقبلي على قراءة القرآن، في شهر القرآن، اهتمي بتثبيته فإن القرآن يتفلت سريعًا؛ ولهذا يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ» رواه البخاري (٥٠٣١)، ومسلم (٧٨٩) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ.

وفي رواية في «صحيح مسلم»(٧٨٩) «وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ» «فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ» يتلو القرآن آناء الليل وآناء النهار، «ذَكَرَهُ» ثَبَتَ في قلبه، استحضره، ويدخل في هذا الصلاة بالقرآن، فاقرئي ما تيسر لك من القرآن من محفوظاتك، «وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ» هذا من أسباب نسيان القرآن.

واحرصي على تدبر القرآن ووجود حلاوته؛ لتنتفعي به، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح رياض الصاحين»(١/ ٥٤٥): إذا رأيت من نفسك أنك كلما تلوتَ القرآن ازددت

---

(٦) رواه ابن ماجه (٢١٥) عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إيمانًا؛ فإن هذا من علامات التوفيق، أما إذا كنت تقرأ القرآن ولا تتأثر به، فعليك بمداواة نفسك. اهـ.

لأن القرآن مؤثر، القرآن بركاته كثيرة، فإذا لم يشعر القارئ لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ بحلاوة القراءة وبزيادة الإيمان فإنه يحتاج إلى علاج نفسه، ففي قلبه أمراض، وفي قلبه قسوة يحتاج أن يعالج ذلك.

ومما ينبغي أن نتحلى به: التلذذ بحلاوة العبادة، وانشراح الصدر لها، فالعبادة لها ذوق وحلاوة، والمحروم من حُرِمها، النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا» رواه مسلم (٣٤) عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

وكثير من الناس محروم من التلذذ بالعبادة، يصلي فلا يشعر بحلاوة الصلاة، وربما قام متثاقلًا لها، متضجرًا منها، وهذا من صفات المنافقين ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾[النساء: ١٤٢]. يقرأ القرآن ولا يجد حلاوة القرآن، يذكر الله ولا يجد حلاوة ذكر الله، يستغفر ولا يشعر بلذة وراحة الاستغفار، وهذه مصيبة؛ فإن العبادة لها لذة وراحة وانشراح، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد].

وشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول كما نقله عنه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مدارج السالكين»(١/ ٤٥٢) يَقُولُ: إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ.

ويقول شيخ الإسلام كما في «مدارج السالكين»(٢/ ٦٨): إِذَا لَمْ تَجِدْ لِلْعَمَلِ حَلَاوَةً فِي قَلْبِكَ وَانْشِرَاحًا، فَاتَّهِمْهُ، فَإِنَّ الرَّبَّ تَعَالَى شَكُورٌ.

قال ابن القيم: يَعْنِي أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُثِيبَ الْعَامِلَ عَلَى عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ حَلَاوَةٍ يَجِدُهَا فِي قَلْبِهِ، وَقُوَّةِ انْشِرَاحٍ، وَقُرَّةِ عَيْنٍ. فَحَيْثُ لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ فَعَمَلُهُ مَدْخُولٌ.

ورمضان مليءٌ بالخيرات والبركات، وتمر الأيام ولا يجد تحسنًا في حاله.

فعلينا بأن نتفقد أنفسنا، إنَّ فقدان لذة العبادة وراحتها، لا يأتي إلا لأسباب، من أعظمِها:

الذنوب كما قال ربنا عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾[الشورى].

استحلاء الدنيا وتعلق القلوب بها، والدنيا والآخرة ضدان لا يجتمعان، فإذا أرضيت إحداهما سخطت الأخرى، نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «وَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى

عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ» رواه البخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦١) عَنِ عَمْرو بْن عَوْفٍ الأَنْصَارِيّ.

الغفلة عن الله وذِكْرِه، وقد قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف].

لكن الشاشات، واللقاءات، والمنتزهات، والملاهي، وسماع الأناشيد، يجد طربًا وشوقًا وراحة وذوقًا وحلاوة، أما العبادة فيدفع نفسه إليها بالغصْب.

فنحن محتاجات أن نرجعَ إلى الله سُبحَانَهُ، وأن ننقذ أنفسنا من هذه الآفة العظيمة، وإن مجالس الذكر تنفع بإذن الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٥]. والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ، سَاعَةً وَسَاعَةً»(٧).

فهذا يدل على أن مجالس الذكر ومجالس العلم وحلقات التذكير نافعة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ لصلاح الحال، ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

---

(٧) رواه مسلم (٢٧٥٠) عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ.

فمجالس العلم تزيد في الإيمان، وكما قال والدي في صوتية له: رب كلمة واحدة تغير حياتك.

ومما ينبغي للصائم: الإكثار من الدعاء؛ لأن الصائم دعوته مستجابة ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة: ١٨٦]، ذكر الله عَزَّوَجَلَّ هذه الآية في سياق أحكام الصيام؛ ففيه تحفيز للصائم أن يكثر من الدعاء.

والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يقول: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا اللَّهُ دُونَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ: بِعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» (٨).

وفي قول النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ» دليل على أنه من أول اليوم إلى أن يفطر الصائم، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس وقت إجابة للصائم، فهذه فرصة للصائم أن يدعوَ الله، وكلنا عبيدٌ لله بحاجة إلى الله لا نستغني عنه طرفة عين، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ ألَّا يخذلنا، ولا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

---

(٨) رواه ابن ماجه (١٧٥٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهو في «الصحيح المسند» تحت رقم (١٣٥٨) لوالدي رَحِمَهُٱللَّهُ.

فارفعي يديك إلى ربك والجئي إليه، حتى في الأشياء الصغيرة، فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يحب من عباده أن يسألوه. وسمعت والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: العبد يدعو ربه في كل حوائجه، حتى الملح لو احتاجه يدعو ربه.

ادعي لأولادكِ؛ فدعوة الوالدين سعادة ومستجابة، والتمسي أوقات الإجابة، والأوقات المباركة، كالسجود، بين الأذانين، البكور، آخر اليوم، ساعة الإجابة يوم الجمعة.

ومن الأشياء التي ينبغي للصائم أن يتحلى بها وأن يجتهد فيها: الاستغفار، فالاستغفار صدقة من الصدقات ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[هود: ٥٢]. من أسباب الأرزاق والخيرات والبركات الاهتمام بالاستغفار، صائم ويستغفر: اللّٰهم اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم، يطلب خير الدنيا والآخرة، والحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول في «تفسيره»(٤/٣٢٩): وَمَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ –أي: كان من المستغفرين–يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَحَفِظَ عَلَيْهِ شَأْنَهُ وَقُوَّتَهُ.

وهذا من بركات الاستغفار؛ ولهذا النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كان يكثر من الاستغفار، مع أن الله عَزَّوَجَلَّ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فهنا يقول الحافظ ابن كثير: (وَمَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) هذا الرزق الذي تُبذل فيه نفائس الأوقات، ومع

ذلك قد يجد الإنسان صعوبة في تيسير رزقه، لو استغفر الله عَزَّوَجَلَّ ليسر له ذلك ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق]. والاستغفار داخل في التقوى.

(وَسَهَّلَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ) تيسير الأمور وتفريج الكربات، هذا يدل على أن الاستغفار ملجأ عند الحاجات والكربات، يلجأ الإنسان إلى ربه ويستغفره: أستغفر الله أستغفر الله.

(وَحَفِظَ عَلَيْهِ شَأْنَهُ وَقُوَّتَهُ) يحفظ له حاله، ويحفظ له قوته، والأجسام تحتاج إلى هذا المدد الربَّاني، والاستغفار يقويها بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، ويحفظ لها قوتها، وهذا كما قال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ»(٩) فمن حفظ الله عَزَّوَجَلَّ حفظه، الجزاء من جنس العمل.

فالصائم يحتاج أن يكثر من الاستغفار، وهو في شهر المغفرة والتوبة.

ولا ننسى أخواتي في الله الاستغفار لآبائنا وأمهاتنا وأقاربنا فلهم حق علينا، وخاصة الأبوين، ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

(٩) رواه الترمذي (٢٥١٦) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وهو في «الصحيح المسند» (٦٨٥) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

والاستغفار من الدعاء، ونص النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على الولد الصالح؛ لأنه هو الذي يعرف حقَّ أبويه، ولا ينسى معروف أبويه، وهذا من الوفاء لهم، فنسأل الله أن يرحمهم وأن يغفر لهم، اللَّهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم.

وأنبِّه على أن من الوفاء بين الزوجين الاستغفار لبعضهما لبعض، فمن سبق بالوفاة فينبغي لمن بقيت له حياة بعده أن يستغفر له، وهذا من الوفاء بين الزوجين، وقد جاء أن المقريزي-أحد العلماء(١٠)-تزوج بفتاة وأنجبت له محمدًا وعليًّا، ثم توفيت رحمها الله، واسمها سفرى بنت عمر، قال زوجها: فكنت أستغفر لها، فرأيتها مرة في المنام، جاءت إليَّ بأكفانها التي كفنتها فيها، وأنا أعلم أنها ميتة، فقلت لها: يا أم محمد، أيصلك هديتي؟ قالت:

---

(١٠) ترجم له السخاوي في «الضوء اللامع»(٢/ ٢١) وقال: أَحْمد بن عَليّ بن عبد الْقَادِر بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن تَمِيم بن عبد الصَّمد بن أبي الْحسن بن عبد الصَّمد بن تَمِيم التقي أَبُو الْعَبَّاس بن الْعَلَاء بن المحيوي الْحُسَيْنِي العبيدي، البعلي الأَصْل القاهري، سبط ابْن الصَّائِغ، وَيعرف بِابْن المقريزي، وَهِي نِسْبَة لحارة فِي بعلبك، تعرف بحارة المقارزة، وَكَانَ أَصله من بعلبك، وجده من كبار الْمُحدثين فتحول وَلَده إِلَى الْقَاهِرَة، وَولي بهَا بعض الْوَظَائِف الْمُتَعَلّقَة بِالْقضَاءِ، وَكتب التوقيع فِي ديوَان الْإِنْشَاء، وأنجب صَاحب التَّرْجَمَة. وَكَانَ مولده حَسْبَمَا كَانَ يخبر بِهِ ويكتبه بِخَطِّهِ بعد السِّتين، وَقَالَ شَيخنَا: إنه رأى بِخَطِّهِ مَا يدل على تَعْيِينه فِي سنة سِتّ وَسِتِّينَ، وَذَلِكَ بِالْقَاهِرَةِ، وَنَشَأ بهَا نشأة حَسَنَة فحفظ الْقُرْآن. . . واشتغل كثيرًا وَطَاف على الشُّيُوخ وَلَقي الْكِبَار، وجالس الْأَئِمَّة فَأخذ عَنْهُم، وتفقه حنفيًّا على مَذْهَب جده لأمه، وَحفظ مُخْتَصرا فِيهِ، ثمَّ لما ترعرع وَذَلِكَ بعد موت وَالِده فِي سنة سِتّ وَثَمَانِينَ، وَهُوَ حِينَئِذٍ قد جَازَ الْعشْرين تحول شافعيًّا، وَاسْتقر عَلَيْهِ أمره، لكنه كَانَ مائلا إِلَى الظَّاهِر، وَلذَلِك قَالَ شَيخنَا-الحافظ ابن حجر-: إنه أحب الحَدِيث فواظب على ذَلِك، حَتَّى كَانَ يتهم بِمذهب ابْن حزم، وَلكنه كَانَ لَا يعرفهُ انْتهى. اهـ باختصار.

نعم، في كل يوم تصل هديتك إليَّ. ثم بكت وقالت: قد علمتَ أني عاجزة عن مكافأتك.

فقلت لها: لا عليكِ، عما قليل ونلتقي.

صحيح عمَّا قليل ونلتقي إن شاء الله، هكذا الحياة، هذا يتقدم، وهذا يتأخر، سُنَّة الله في خلقه، فهم السابقون ونحن اللاحقون، والموت يتغدى ويتعشى، فمن سبقنا من أهالينا وأحبابنا الله أعلم كم بقاؤنا بعدهم، كلنا صائرون إلى الموت ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن]، ونحن منتظرات لشهر رمضان، اللّهم بلغنا رمضان وبارك لنا فيه، والله أعلم من تدركه منَّا، بقي معنا غَدٌ اليوم الثلاثون وندخل في رمضان إن شاء الله تَعَالَى، ولا ندري أيضًا إن أدركنا رمضان هل ندرك رمضان آخر أم لا؟ فنحن لم نخلق للبقاء في الحياة الدنيا، إنما أوجدنا الله عَزَّوَجَلَّ فيها اختبارًا وابتلاءً ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك]. ليس أكثر أولادًا، أكثر تجارة، أكثر أموالًا، أكثر نساءً ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ ﴾.

فالاستغفار من أعظم ما تُغتنم به الأوقات في نهار رمضان ولياليه.

ومما ينبغي للصائم أن يتحلى به: ذكر الله، وأن يعمر أوقاته بالذكر، فقد قال ربنا عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٢]. من ذكر

الله ذكره عند ضعفه، عند حاجته، عند فقره، عند كربته، فلا نكن من الغافلين عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الانفال: ٤٥].

قال ابن القيم في«الوابل الصيب»(٧٢): ما استُجلبت نعم الله عَزَّوَجَلَّ واستدفعت نقمة بمثل ذكر الله تعالى. فالذكر جلَّاب للنعم، دافع للنقم.

والذكر أخواتي في الله ميسر؛ لأنه ممكن تذكرين الله عَزَّوَجَلَّ وأنت قائمة، وأنت ماشية، وأنت في العمل، وأنت في الطباخة، وأنت مضطجعة، ميسر، والبركة من الله عَزَّوَجَلَّ، فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعيننا على الإكثار من الذكر في رمضان.

وأفضل الصوام أكثرهم ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الوابل الصيب» (ص٧٥): أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ، فأفضل الصوام أكثرهم ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ في صومهم، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ، وأفضل الحاج أكثرهم ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ.

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «زاد المعاد» (٢/٢٣) في سياق الكلام على أسباب انشراح الصدر: وَمِنْ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ دَوَامُ ذِكْرِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَفِي كُلِّ مَوْطِنٍ، فَلِلذِّكْرِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي انْشِرَاحِ الصَّدْرِ وَنَعِيمِ الْقَلْبِ، وَلِلْغَفْلَةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي ضِيقِهِ وَحَبْسِهِ وَعَذَابِهِ.

ما أعظم رزق نعيم القلب، وراحته، وغذاء القلب الروحي الإيماني؟! أما غذاء البدن فهذا فقط إنما نتقوى به على أمورنا وعلى طاعة ربنا، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعيذنا من فتنة الشهوات والشبهات.

الغذاء الروحي: غذاء القلب بالإيمان، بالاستغفار، بالذكر، بالصلاة، بالعبادة، بقراءة القرآن، هذا نعيم القلب الذي يصير منشرحًا مرتاحًا، لا يجد أحدًا أسعد منه إلا من كان على شاكلته، نعمة اختصها الله عَزَّوَجَلَّ أصحاب هذه القلوب الطيبة السليمة ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩ ﴾ [الشعراء].

ومما ينبغي أن نحرص عليه: قيام ليالي رمضان، فإن نبينا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» رواه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

«إِيمَانًا» أي: إيمانًا بثواب القيام ووعد الله عَزَّوَجَلَّ.

«وَاحْتِسَابًا» احتسابًا للأجر والثواب من الله سُبحَانَهُ.

وقيام الليل قوة ونشاط، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «زاد المعاد» (٤/٢٢٧): مِنْ أَنْشَطِ شَيْءٍ لِلْبَدَنِ وَالرُّوحِ وَالْقَلْبِ.

واستغلي آخره، فمن حكمة الله أن جعل أزمانًا أواخرها أفضل من أولها.

والحمد لله نفوس المسلمين مندفعة إلى التراويح في رمضان، وهذا من فضل الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن ينبغي أن نجاهد، ونستشعر لذة الصلاة، لذة القيام، ونتدبر القرآن، ونحضر قلوبنا، نسأل الله أن يعيننا على المجاهدة، هذه الأمور تحتاج إلى مجاهدة، ونبينا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يقول: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ» (١١).

ومنها أيضًا: الصدقة، الصدقة في رمضان لها مزيتها؛ ولهذا النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ كان كريمًا مسابقًا إلى الإحسان والصدقات، روى البخاري (٦) ومسلم (٢٣٠٨) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ». فالصدقة في رمضان لها مزيتها، الله عَزَّوَجَلَّ يقول: «أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ» (١٢).

---

(١١) رواه الإمام أحمد (٣٨٦/٣٩) عن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وهو في «الصحيح المسند» (١٠٦٥) لوالدي رَحِمَهُٱللَّهُ.

(١٢) رواه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الصدقة سبب للنماء والزيادة والبركة والخير، ومن أسباب محو الذنوب كما قال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ» (١٣).

تمحو الذنوب، لكن أخواتي في الله الصدقة تكون من مال طيب، فلا تتصدق المرأة من مال غيرها، أو من مال زوجها من غير إذنه، تتصدق من مالها، أو من مال زوجها بإذنه، وتتصدق ابتغاء وجه الله؛ لا تريد جزاء ولا شكورًا من المخلوقين، أو لغرضٍ دنيوي من أجل الصحة، النماء البركة، ولن يفوتك شيء.

وإذا تصدقتِ فلا تطلبي المكافأة، بمعنى: لا تقولي: هذه صدقة لكم، وأطلب منكم الدعاء. لا تقولي هذا؛ لأنك إذا لأعطيتِ الصدقة، وقلت: ادعوا لي، فقد طلبت المكافأة؛ فإن الدعاء نوع من المكافأة، كما قال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»(١٤).

وثبت من طريق عبيد بن أبي الجعد عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ شَاةٌ، فَقَالَ: «اقْسِمِيهَا» قَالَ: وَكَانَتْ عَائِشَةُ إِذَا رَجَعَتِ الْخَادِمَ قَالَتْ: مَا قَالُوا لَكِ؟ تَقُولُ مَا

---

(١٣) رواه أحمد (٢٢/ ٣٣٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وهو في «الصحيح المسند» (٢٤٥) لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١٤) رواه أبو داود (١٦٧٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، وهو في «الصحيح المسند» (٧٣٦) لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يَقُولُونَ يَقُولُ: بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ فَتَقُولُ عَائِشَةُ: وَفِيهِمْ بَارَكَ اللهُ، تَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا قَالُوا، وَيَبْقَى أَجْرُنَا لَنَا(١٥).

تريد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الأجر الكامل، وعطاء الله أوسع وأكثر وأشمل، فهذه من آداب الصدقات.

وابتغي بذلك وجه الله، لا سمعة ولا رياء، ولا ابتغاء مدح وثناء، وإخفاء الصدقة يعين على الإخلاص.

ومما ينبغي للصائم أن يتحلى به: الحرص على الهدوء والسكينة، وترك العصبية، والنزاعات، ورفع الأصوات، النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ والوَقَارِ»(١٦).

وهذا يحتاج إلى مجاهدة، ويحتاج إلى صبر «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ»(١٧).

---

(١٥) رواه النسائي في «الكبرى»(٩/ ١٢١)، ومن طريقه ابن السني في «عمل اليوم والليلة»(٢٧٨): أَخْبَرَنَا طَلِيقُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ السَّكَنِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ. وإسناده حسن؛ فيه يزيد بن زياد وهو الأَشْجَعِي، وشيخه عبيد بن أبي الجعد، صدوقان.

وذكره النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الأذكار»(٣١١) تحت ترجمة: بابُ استحبابِ مُكافأةِ المُهْدي بالدعاءِ للمُهْدَى له إذا دَعا له عندَ الهدية.

(١٦) رواه البخاري (٦٣٦) واللفظ له، ومسلم (٦٠٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١٧) رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فمن تصبرت صبَّرها الله، وأمدها بالمعونة والثبات، وكثير يا أخوات من البيوت يتنكَّد نعيمُها في نهار رمضان، ولا سيما قبل الغروب، يتنكد نعيمها وأُنْسها؛ بسبب الخلافات والخصام ورفع الأصوات، فعلى الصائم أن يتحلى بالهدوء والسكينة «وَلَا يَصْخَبْ» يعني: لا يرفع صوته. «فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ» حِلْمٌ وأخلاق، نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ وَالجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» (١٨).

«وَالجَهْلَ» السَّفه والسباب، ومجاذبة الأصوات، وعلى الأم أن تضبط نفسَها-نسأل الله أن يعيننا جميعًا-لا ترفع صوتها على الأولاد، لا ترفع صوتها على جليساتها ومن حولها، وهكذا الأب؛ ليكون أجر الصوم كاملًا تامًّا.

هذا، وليس معناه أن الأُسر الصالحة معصومة، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فهم ليسوا بملائكة، وليسوا معصومين، فلابد أن يكون هناك نقص، وهناك نزغات من الشيطان؛ ولهذا علينا بأن نجبر النقص بالاستغفار ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦]. فإن الاستغفار يجبر النقص، وشُرعت صدقة الفطر؛ لأنها تكمل النقص، وهذا من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، كما روى ابن ماجة (١٨٢٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،

(١٨) رواه البخاري (٦٠٥٧)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، فَمَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ».

ومما يحذر الصائم منه: المعاصي، يغض بصره لا ينظر الرجل إلى النساء، ولا النساء إلى الرجال، فتنبهي، وعندك هذه الأجهزة مجرد أن تفتحي-حتى ولو بحثتِ-تُصب الصور صَبًّا، وفي كثيرٍ الملاهي من الموسيقى والمعازف، فتخسرين الأجر الكامل، فابتعدي عن ذلك.

وحفظ السمع أيضًا من سماع ما حرم الله عَزَّوَجَلَّ، حفظ اللسان من الغيبة والنميمة والكذب والزور والأذى والسباب والشتام، حتى يكمل لنا الأجور.

وهذا شهر واحد ويجرُّ خيره إلى باقي السنة، عمل قليل وخيرٌ كثيرٌ، وَمَنْ صَحَّ لَهُ رَمَضَانُ وَسَلِمَ سَلِمَتْ لَهُ سَائِرُ سَنَتِهِ، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «زاد المعاد» (١/٣٨٦).

الحذر من سرّاقِ رمضان المبارك ولصوصه، كالجوالات، المسلسلات، برامج التواصل، والكسل والفتور، ومن دام كسله خاب أمله، قال ابن الجوزي في «صيد الخاطر» (٣٨٤): وليحذر من لص الكسل؛ فإنه محتال على سرقة الزمان.

واحذري الكسلات؛ فالصاحب ساحب.

وأخيرًا نتواصى بالحرص على الخيرات في شهرنا المبارك، واجتناب السيئات، ولنتعرضْ فيه لنفحات الرحمن وعطاياه، وللخير والمغفرة والتوبة.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يوفقنا لصيام شهر رمضان وقيامه، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ونسأل الله التوفيق لكل خير.

والحمد لله رب العالمين.

تم نشر هذه الكلمة ولله الحمد والمنة.

يوم الاثنين الموافق ٥ / من شهر رمضان / لعام ١٤٤٤ للهجرة النبوية

على صاحبها الصلاة والسلام.